المحاضرة الأولى: مدخل عام حول التربية الخاصة

1- تطور مجال التربية الخاصة :

إن فكرة توفير تربية خاصة لبعض الفئات ليست وليدة اليوم ، بل كانت نتيجة تضارب التيارات والأفكار التي مرت بها المجتمعات في المراحل التاريخية المختلفة، تأرجحت بين الحذر والرفض من جهة وبين الشفقة والفضول العلمي من جهة أخرى ، ففي القرن كان الاهتمام منصبا على تعليم الأطفال ذوي الإعاقات الحسية كالمكفوفين والصم ، حيث قام القس **شارل دولييه** (1789-1792) Ch. Dolier بوضع نظام لغوي إشاري للصم والبكم وأسس مدرسة لاستقبالهم، كما قام **هولي** (1745-1822) F. Holly بتأسيس مؤسسة للمكفوفين في باريس . وفي بداية القرن 19 أما فئة بدأ الاهتمام بتربية المتخلفين عقليا على يد **إيتارد** Itard الذي وضع قواعد التربية الخاصة انطلاقا من محاولته تربية الطفل المتوحش فكتور وبذلك ظهرت أفكار تنادي بإمكانية تحسين حالات المتخلفين عقليا بتوفير تربية خاصة لهم ، فتم إنشاء مراكز ومعاهد تستقبل الفئات العميقة والمتوسطة خاصة وكانت تربيتهم تقوم على أسس طبية وعلاجية.

في القرن 20 شهدت التربية الخاصة تطو را هاما، حيث وضع **بينه** Binet سنة 1905 فلسفية حقيقية لتربية فئات التخلف العقلي، وطرح مفهوم التكيف المدرسي كغاية للتربية، بذلك ظهرت فئة جديدة من المتخلفين عقليا، سميت بالتخلف العقلي البسيط، أو كما سماها بفئة الأطفال غير العاديين للمدارس Les Anormaux d'écoles ، أما الأشكال الأخرى من التخلف فكانوا يوكلون للمستشفيات والمعاهد . وبذلك أنشأ بينيه عام 1909 مدارس خاصة للأطفال ذوو التخلف البسيط ، وأصبحت التطبيقات التربوية في هذه المدارس على شكل برامج تربوية ومناهج ومواد تعليمية تؤثر في نموهم العقلي .ولقد ساهمت في إثراء وتطوير هذه البرامج التيارات التربوية النفسية والطبية التي قادها أطباء ومربون كانت لهم آثار واضحة في تطوير ميدان التربية الخاصة من أمثال **فروبل، منتسوري، بياجيه** وغيرهم ... **(السيد عبيد ، 2000)** وفي أواخر القرن 20 م ظهرت فلسفة جديدة معاصرة للتربية الخاصة، أصبحت تؤكد على الجوانب الوقائية والتصحيحية بدلا من الاقتصار على رعاية الأطفال ومساعدتهم على تحقيق التوافق.

أدت التطورات الهامة في تعليم المعاقين إلى تغيير نظرة المجتمعات الغربية نحوهم ومهد ذلك لظهور حركة التأهيل المهني لهم وإدخالهم إلى مجال العمل بشكل رسمي ومنظم. ولعل أول البرامج الرسمية في هذا المجال هو قانون للتأهيل في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1920 عقب الحرب العالمية الأولى. ومن ثم عرفت برامج التأهيل طريقها بشكل رسمي إلى العديد من الدول وأصبحت نشاطاً هاماً من أنشطة هيئات الأمم المتحدة كمنظمة العمل الدولية ومنظمة الصحة العالمية وصندوق الطفولة (اليونيسيف) وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي وقد توجهت أنظار العالم في السنوات الأخيرة إلى ضرورة العناية والاهتمام بالمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة

وذلك بعد أن أكدت البحوث والدراسات التي أجريت حولهم أنهم يتمتعون بالكثير من القدرات والاستعدادات في جوانب أخرى غير الجانب الذي يعانون منه نقصا ، فأنشئت المدارس الخاصة لمساعدتهم على استثمار قدراتهم واستعداداتهم بما يؤهلهم لممارسة حياتهم بصورة طبيعية كغيرهم من العاديين حتى أصبحت برامج التربية الخاصة من البرامج الأساسية للحكومات في معظم دول العالم . ولم يقف الأمر عند ذلك إذ اتجهت برامج الرعاية إلى البعد الإنساني والاجتماعي دون الاقتصار على الجوانب الطبية والتعليمية والمهنية، وأصبح الهدف من التأهيل الآن إدماج المعاق في حياة مجتمعه وإشعاره بإنسانية ومحاولة زيادة مستوى رفاهيته وتأهيل المجتمع لاحتضانه. حتى أن ذلك أصبح معيارا لتحضر وتقدم أي بلد (**الظاهر، 2008 : 21**). بذلك أصبح الهدف من التربية الخاصة تحقيق أكبر قدر ممكن من التطبيع نحو العادية ولقد ظهر هذا الاتجاه لأول مرة في الدول الاسكندنافية ، من خلال القانون الدنماركي عام **1959** وفي السويد عام **1968** وفي تقرير لجنة الرئيس الأمريكي للتخلف العقلي عام **1969** ويقوم هذا الاتجاه على إدماج الأطفال ذوي الحاجات الخاصة (المتخلفين عقليا) داخل برامج المدرسة العادية ، مع توفير خدمات تدعيمية وشخصية لهؤلاء الأطفال وهكذا أصبح ينظر إلى التربية الخاصة على أنها ضمن اختصاصات المدرسة العادية، فبدلا من نقل التلاميذ إلى أماكن خاصة، تنقل الخدمات الخاصة إليهم وهم في بيئتهم العادية (**حجي ،1998 : 54-55**)

وقد ظهر مصطلح الاحتياجات الخاصة في تسعينات القرن العشرين ليحل بديلا عن مصطلحي الإعاقة والمعاقين (اللذان يعبران عن وصم اجتماعي بما يحمله من آثار نفسية سلبية على الفرد) ، واستخدم مصطلح ذوو الاحتياجات الخاصة للدلالة على الأشخاص الذين تظهر لديهم اختلافات في القدرات العقلية أو الجسدية أو الحسية أو الخصائص السلوكية واللغوية والتعليمية تميز حاملها عن الأطفال العاديين ، مما يعني حاجتهم للمساعدة على التعايش مع واقعهم عبر بعض البرامج أو الأجهزة أو التعديلات أو الوسائل والخدمات التربوية والخدمات المساندة. ومع تطور النظرة إلى هذه الفئة على أنهم ليسوا عاجزين وأن المجتمع هو من عجز عن استيعابهم أو عن تقبلهم والاستفادة مما قد يكون لديهم من مميزات أو قدرات مختلفة يمكن تنميتها وتدريبها لجعلهم يتكيفون مع المجتمع رغم ما يعوقهم بل وربما يفوقون غيرهم من العاديين، أصبحت المراجع العلمية والهيئات المتخصصة تسميهم (المعاقون أو المعوقون) بمعنى وجود عائق يعوقهم عن التكيف نفسيا واجتماعيا مع البيئات التي يعيشون فيها إما بسبب إصابتهم بعاهات أو انحرافات سلوكية وإما بسبب ما تفرضه عليهم البيئة من ظروف خاصة . فقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام **1981** ميثاق حقوق إنسانية لمن يعانون من إعاقات والذي يقضي بأن لهم الحق في المشاركة والمساواة في المعاملة ، ويعتبر هذا الميثاق اعترافا عالمياً بحق المعاقين في المشاركة الكاملة في كافة أنشطة المجتمع الذي ينتمون إليه ، فشكلت الفترة من **1983** إلى **1992** عقد الأمم المتحدة لذوي الاحتياجات الخاصة . كما كان صدور القواعد الأساسية لحقوق الأشخاص المعاقين من الجمعية العامة للأمم المتحدة عام **1993** تأكيداً على ضرورة إتاحة فرص التعليم لذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم النظامي.

نشرت منظمة **اليونسكو** عام **1996** وثيقة بعنوان " التشريعات المتصلة بتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة" أبرزت فيها جهود **52** دولة بشأن دمج الأطفال المعاقين في التعليم النظامي. ويحتفل العالم في الثالث ديسمبر من كل سنة باليوم العالمي لذوي الاحتياجات الخاصة. ويهدف اليوم الذي بدأت الأمم المتحدة الاحتفال به منذ سنة **1993** إلى تعزيز فهم القضايا ذات العلاقة بالإعاقة والسعي لحصول ذوي الاحتياجات الخاصة على حقوقهم في كافة أنحاء العالم. وقد تعددت المؤتمرات العالمية التي ركزت على حقوق المعاقين في التعليم ومنها مؤتمر **سيريلانكا** (**1994**) ومنتدى **داكار** (**2000**) ومؤتمر اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت (**2001**) الذي أقر وثيقة حول إدماج التلاميذ المعاقين في التعليم النظامي أكدت أن مفهوم الدمج هو وسيلة لتحقيق غايات تعيد للمدرسة وظيفتها الاجتماعية، وتؤكد مبدأ التنوع والاستجابة لاحتياجات المجتمع ، كما تؤدي إلى تحسين التعليم المدرسي وإلى التوسع في نطاق التحاق المتعلمين وزيادة مشاركتهم والإقلال من فرص استبعاد أي طفل من دخول المدرسة العادية.

وانطلاقا من عرضنا السريع لتطور ميدان التربية الخاصة نلاحظ أنها لا تختلف عموما عن التربية عامة حيث تستمد أهدافها وأسسها من فلسفة المجتمع، ففي بداياتها كانت اتجاهات المجتمع نحو الفئات المعاقة تقوم على الرفض والنبذ، وبالتالي عزلها في مدارس داخلية، ثم بعد ظهور مبادئ حقوق الإنسان، والتي فرضت على المجتمعات توفير فرص التعلم لجميع الأطفال دون استثناء أصبحت تربية المعاقين تأخذ شكلا آخر يعترف بحقهم في مشاركة الأسوياء.

2- تعريف التربية الخاصة :

يقصد بالتربية الخاصة مجموعة البرامج والخطط والاستراتيجيات المصممة لتلبية الاحتياجات الخاصة بالأطفال غير العاديين، وتشتمل على طرائق تدريس وأدوات وتجهيزات ومعدات خاصة و إلى خدمات مساندة . ولقد عرف هذا المفهوم تعاريف متعددة ومتباينة ، فقد اعتبر **بيرش وجونسون (1975) Birch & Johnson** التربية الخاصة تلك لخدمات المقدمة للأطفال المعاقين من قبل أشهاص مؤهلين والتي تختلف عن برامج العاديين أو تضاف إليها. كما عرفها أحمد (**1989**) بأنها نوع من التعليم الذي يهتم بتقديم التعليم المناسب بكل فرد في ضوء ظروفه وقدراته واستعداداته وميوله واهتماماته مستخدما في ذلك الوسائل والطرائق والأساليب كافة التي تمكن هذا التلميذ من إتقان ما يتلقاه من علوم على وفق ظروفه. وفي ضوء ما تقدم يمكن الاستنتاج بان التربية الخاصة هي جملة من الأساليب التعليمية الفردية المنظمة التي تتضمن تعليما خاصا ومواد ومعدات خاصة أو مكيفة وطرائق تربوية خاصة وإجراءات علاجية تهدف إلى مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة في تحقيق الحد الأقصى الممكن من الكفاية الذاتية والنجاح الأكاديمي على أن الهدف الذي تتوخى التربية الخاصة تحقيقه لا يقتصر على توفير منهاج خاص أو طرائق تربوية خاصة أو معلمٍ خاصاً ولكن الهدف يتضمن إيضاح حقيقة أن كل شخص يستطيع المشاركة في فعاليات مجتمعة الكبير وان كل الأشخاص أهل للاحترام والتقدير وان كل إنسان له الحق في أن تتوفر له فرص النمو السليم .

3- أهداف التربية الخاصة :

تعددت وتنوعت أهداف التربية الخاصة وفق التربويين والمهتمين بهذا المجال ويجب أن نذكر أن ذوي الاحتياجات الخاصة ليسوا شريحة واحدة تماما إذ أن هناك فروقا فيما بينهم بحاجة إلى الدراسة وإلى أهداف تربوية خاصة تختلف باختلاف طبيعة تلك الحاجات ، وعموما تتمثل أهداف التربية الخاصة بالنقاط الاتية:

- ❖ التعرف على التلاميذ غير العاديين وذلك من خلال أدوات القياس والتشخيص المناسبة لكل فئة من فئات التربية الخاصة.
- ❖ تكوين اتجاهات إيجابية وتعديل الاتجاهات السلبية للعاملين وأولياء الأمور نحو ذوي الحاجات الخاصة.
- ❖ التعرف على الأطفال غير العاديين من خلال أدوات القياس والتشخيص المناسبة لكل فئة من فئات التربية الخاصة.
- ❖ إعداد البرامج التعليمية لكل فئة من فئات التربية الخاصة.
- ❖ إعداد طرائق التدريب لكل فئة من فئات التربية الخاصة وذلك لتنفيذ وتحقيق أهداف البرامج التربوية على أساس الخطة التربوية الفردية.
- ❖ إعداد الوسائل التعليمية والتكنولوجية الخاصة بكل فئة من فئات التربية الخاصة لتسهيل عملية التعليم.
- ❖ إعداد الكوادر العلمية لتدريس وتأهيل وتدريب أصحاب هذه الفئات سواء في أثناء الخدمة أم قبلها ليتعاملوا باقتدار مع كل فئة من فئات التربية الخاصة .
- ❖ تنمية التوافق النفسي والاجتماعي لدى الطفل وإكسابه القدرة على تكوين علاقات اجتماعية صحيحة مع تنمية القدرة على التعامل مع الآخرين عن طريق إشراكه في المواقف والخبرات الاجتماعية المناسبة المتكررة.

لكن يبقى هدف التربية الخاصة عامة هو تقديم الخدمات للتلميذ ذو الاحتياجات الخاصة لتوفير الظروف المناسبة له لكي ينمو نموا سليما يؤدي إلى تحقيق ذاته عن طريق تحقيق إمكاناته وتنميتها إلى أقصى مستوى تستطيع أن تصل إليه وان يدرك ما لديه من خدمات يتقبلها في جو يسوده الحب والأحاسيس .

4- مبادئ التربية الخاصة :

فيما يأتي بعض المبادئ التي يستند اليها ميدان التربية الخاصة :

- ❖ حق الرعاية والتعلم يشمل كل الاطفال الذين يعانون من مختلف اشكال الاعاقة.
- ❖ تأكيد مبدأ الفروق الفردية بين من هم بحاجة الى التربية الخاصة على الرغم من وجود حاجات متشابهة بين الفئات المختلفة.

- وضع الخطط التربوية الفردية منها والجمعية لمواجهة الاحتياجات التربوية الخاصة بكل فئة مع تحديد معايير معينة من الوصول إلى الهدف في مستويات التحصيل والمهارات الحسية والحركية والمهنية مع عدم إغفال دور الأسرة في هذا الجانب.
- تحديد السبل والوسائل والأدوات التي يمكن استخدامها للمساعدة في تحقيق هدف إحداث التغير في حياة التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة .
- تقديم الخدمات التربوية الخاصة بالتلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة وفق أسلوب الدمج ، ويتضمن ذلك على سبيل المثال وجود التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة بمرحلة دراسية معينة مع أقرانهم العاديين لتوفير أقصى درجة ممكنة من التفاعل الاجتماعي.

5- مفاهيم حول الإعاقة :

منذ ظهور المفهوم الدولي الحالي للإعاقة الذي تبنته منظمة الصحة العالمية عام **2001** أصبحت الإعاقة مفهومًا سياقيا وديناميكيا بعدما كانت تعتبر في البداية كحالة فردية تعيش بشكل مستقل عن أي بيئة (جسدية واجتماعية) ، والمقصود بمفهوم سياقي أنه يجب ألا نتحدث عن الأشخاص المعاقين ولكن عن الأشخاص في وضعية الإعاقة والتي تنتج عن بيئة غير مساعدة لتكيف الفرد بسبب عدد من الخصائص والعوامل المرتبطة بالشخص نفسه وبيئته.

أما الديناميكية فتشير إلى أنه عند الحديث عن حالة العجز ينبغي الأخذ بعين الاعتبار المشاكل الصحية للفرد وخصائصه الشخصية والظروف البيئية وهذه العناصر تتطور زمانيا ومكانيا ، ولذلك قد يكون الفرد في حالة إعاقة في زمن محدد ومكان محدد وعكس ذلك في وقت ومكان آخر، أي أن الحديث عن وضعية الإعاقة يعتمد بدرجة كبرى على فهم السياق التطوري الذي يجد فيه الفرد نفسه .

ويعتبر إعطاء تعريف متفق عليه للإعاقة تحديا صعبا أو يكاد يكون مستحيلا ، فالحديث عن الإعاقة والمفاهيم والمصطلحات المرتبطة بها نظريا والأشخاص ذوي الإعاقة وأقاربهم والذين يرافقونهم غالبًا ما يكون ذو دلالة مزعجة، كما أن فكرة تصنيف القصور والمشاكل اليومية المرتبطة به غالبا ما يختلف من الناحية النظرية عنه من الجانب العملي نظرا للطبيعة الواقعية واليومية والإنسانية ولكثرة العوامل المؤثرة وتداخلها . **(Stiker ,2013 : 38)**

فالإعاقة هي حالة تشير إلى عدم قدرة الفرد المصاب بعجز ما على تحقيق تفاعل مثمر مع البيئة الاجتماعية أو الطبيعية المحيطة به مقارنة بأفراد المجتمع الآخرين المكافئين له في العمر والجنس ، لكن بالمقابل نجد أن الحواجز والمعيقات الاجتماعية كالاتجاهات السلبية والطبيعية كالعمران التي تؤدي إلى الحد من قدرة الفرد على الاستجابة لمتطلبات بيئته تختلف من مجتمع لآخر ، وعليه فإن من يعتبر معاقا في مجتمع ما قد لا يعتبر كذلك في مجتمع آخر ، ولهذا يعتبر البعض أنه لا يوجد فرد معاق بل يوجد مجتمع معيق.

وينبغي هنا التمييز بين ثلاثة مفاهيم : إصابة – عجز – إعاقة ، فالإصابة تعني أن الفرد ولد بنقص أو عيب خلقي أو قد يتعرض بعد ولادته للإصابة بخلل فسيولوجي أو جيني أو سيكولوجي ، أما العجز فيشير إلى حالة من القصور في مستوى أداء الوظائف الفسيولوجية أو السيكولوجية مقارنة بالعاديين نتيجة للإصابة بخلل أو عيب ، بينما يعبر مصطلح الإعاقة عن حالة من عدم القدرة على تلبية الفرد لمتطلبات أداء دوره الطبيعي في الحياة المرتبط بعمره وجنسه وخصائصه الاجتماعية والثقافية.

وفي ما يلي بعض المفاهيم ذات الصلة بمصطلح الإعاقة (**الخطيب والحديدي ، 2009، القمش والمعايطة، 2007**) :

☑ **ذوو الاحتياجات الخاصة :** يقوم هذا المصطلح على أساس أن في المجتمع أفرادا يختلفون عن عامة أفراد المجتمع ، ويعزو المصطلح السبب في ذلك إلى أن لهؤلاء الأفراد احتياجات خاصة يتفردون بها دون سواهم وتتمثل تلك الاحتياجات في برامج أو خدمات أو طرائق أو أساليب أو أجهزة وأدوات أو تعديلات ... تستوجبها كلها أو بعضها ظروفهم الحياتية وتحدد طبيعتها وحجمها ومدتها حسب الخصائص التي يتسم بها كل فرد منهم.

ويعرف ذو الاحتياجات الخاصة بأنه الشخص الذي استقر به عائق أو أكثر، يوهن من قدرته ويجعله في حاجة إلى عون خارجي أو من فقد قدرته على مزاولة عمله أو القيام بعمل آخر نتيجة لقصور بدني أو عقلي مهما كان سببه . أو هو كل فرد مصاب بعجز كلي أو جزئي إلى المدى الذي يحد من حواسه أو قدراته الجسمية - العقلية - النفسية إلى درجة تحد من إمكانياته للتعلم أو التأهيل أو العمل ، بحيث لا يستطيع تلبية احتياجاته أو بعضها بشكل مستقل.

☑ **الأفراد غير العاديين (Exceptionalities) :** هذا المصطلح أوسع من المصطلحات السابقة ، فهو لا يقتصر على من ينخفض أداؤهم عن أداء الآخرين وإنما يشمل كذلك من يكون أداؤهم أحسن من أداء الآخرين (الموهوبين والمتفوقين). وغالبا ما يطلق هذا المصطلح على الأطفال الذين يختلفون عن أقرانهم حيث ينحرف أداؤهم عن متوسط الأداء الطبيعي بالزيادة أو النقصان في قدراتهم العقلية أو الحسية أو الجسمية أو التواصلية مما يستدعي برامج لسد احتياجاتهم.